

## التقرير اليومي

2007/5/22

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

### الولايات المتحدة، إيران وعملية مفاوضات العراق

بقلم جورج فريدمان وريفما بهاء الله؛ ستراتفور؛ 2007/5/17

بعد إنتظار طويل، أعلنت الولايات المتحدة وإيران في 13 أيار بأنهما سيدخلان في محادثات ثنائية علنية مباشرة حول العراق. فمن واشنطن، كان مكتب نائب الرئيس ديك تشيني ومجلس الأمن القومي هما من كشف الخبر. أما في طهران، فقد أكد الرئيس محمود أحدي نجاد بأن الجانبين سيجتمعان في بغداد خلال بضعة أسابيع وعلى مستوى السفراء، على الأرجح. وهذا يجعل هذه الأحداث مصادق عليها رسمياً قدر المستطاع.

وقد سبق وكان هناك إجتماعان علنيان مختصران- مع أن ذلك كان على هامش مؤتمرين دوليين- بين كبار المسؤولين من وزارة الخارجية الإيرانية ووزارة الخارجية الأميركية في آذار في بغداد وكذلك في شرم الشيخ، مصر. وعلى كل حال، فإن الإجتماع المقبل في بغداد سيكون الإجتماع الثنائي الرسمي الأول. وبعد شهور من مناقشات القنوات الخلفية المكثفة، قام الجانبان باتخاذ قرار حاسم بإخراج مفاوضاتهما الخاصة الى الملأ، مما يعني أنه لا بد وأن تكون طهران وواشنطن قد توصلتا الى إجماع ما حول إطار عمل عام للمفاوضات بخصوص كيفية العمل على إستقرار العراق.

#### لماذا الآن؟

يوضح الوضع السياسي الأميركي لِمَ الجانبان مستعدان للمجيء الى طاولة المفاوضات الآن. فكل من إيران والولايات المتحدة تراقبان عن كثب عمليات التدفق المفاجئ والمتعذر وضع حد له لكل منهما، وهما يدركان بأن الوقت ليس الى جانبهما. فمن المنظور الأميركي، ليس سراً أن حرب العراق قد إمتصت مقداراً هائلاً من القدرات العسكرية الأميركية. فمع إنتخابات 2008 الرئاسية التي تقترب بسرعة، لم يعد أمام إدارة بوش الكثير من الوقت لوضع خطة ما في نطاق التنفيذ بحيث يمكنها أن تبرهن عن بعض التقدم بإتجاه إستقرار العراق. كما أصبح من الواضح، بشكل مؤلم، بأن القوة العسكرية الأميركية، وحدها، لم تنجح في قمع التمردين السنة والمليشيات الشيعية بشكل كافٍ للسماح لحكومة بغداد بالعمل- ولواشنطن بتطوير إستراتيجية خروج حقيقية. ولكن، وعن طريق إرسال عدد أكبر من الجنود، بطريقة

متحدية، الى العراق وضد كل التوقعات، فإن بوش يقوم بإرسال إشارة واضحة لإيران بأنه ليس من مصلحة الإيرانيين إنتظار خروج هذه الإدارة، وبأن الولايات المتحدة جاهزة لإستخدام قواتها لإعاقه الطموحات الإيرانية بالهيمنة على العراق.

أما من المنظور الإيراني، فإن طهران تعلم بأنها تتعامل مع رئيس أميركي ضعيف حالياً، وبأنه يحتمل أن يكون لدى الرئيس الأميركي المقبل حرية عمل أكبر بكثير مما لدى بوش حالياً. وقد تعلم الإيرانيون بأن التعامل مع الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر كان ليكون أمراً مستحسناً أكثر من التعامل مع خليفته. وإذا كنت تعلم بأن المفاوضات أمر حتمي، لذا من الأفضل التفاوض مع رئيس ضعيف تارك لمنصبه بدلاً من محاولة الحصول على تنازلات من رئيس قوي من خلال وضع معقد بشكل متزايد. كما أن الإيرانيين يعلمون بأن الطبيعة العنيدة والمشاكسة، بشدة، لكتلة العراق الشيعية- التي تعتمد إيران عليها لنشر سلطتها- يجعل الأمر كله أكثر صعوبة بالنسبة لطهران لترسيخ مكاسبها طالما أن العراق غارق في الفوضى.

### المطالب الأميركية والإيرانية

لذا، حان الوقت بالنسبة لكل من إيران والولايات المتحدة لإظهار أوراقيهما، وذلك بطرح مطالبهما علناً. فمطالب الولايات المتحدة بخصوص العراق هي مطالب مباشرة صريحة وصادقة. إن فهمنا لما تريده واشنطن من طهران بخصوص العراق يستند على هذه النقاط الأساسية:

- 1) تريد الولايات المتحدة العراق دولة موحدة ومستقلة. وبمعنى آخر، تعلم واشنطن أ، نظاماً مالياً لأميركا في بغداد هو أمر مستحيل في هذه المرحلة. إلا أن واشنطن لن تسمح بدولة تهيمن عليها إيران أيضاً.
- 2) لا تريد الولايات المتحدة أن يعمل الجهاديون في العراق.
- 3) تريد الولايات المتحدة أن تكون قادرة على الإنسحاب من العمليات الأمنية، لكن ليس بشكل سريع ومتهور، لتخفف بذلك من هواجس دول عربية سنية. إذ أن الولايات المتحدة تسعى، أساساً، لإنشاء حكومة عراقية التي، في الوقت الذي يهيمن الشيعة عليها، تبقى غير متحيزة لإيران، معادية للجهاديين ومتعاونة مع مجتمعات السنة.

### المطالب الإيرانية

لقد تم تحديد أجوبة إيران على هذه المطالب علناً في ورقة مؤتمر شرم الشيخ. وكانت صحيفة الحياة، السعودية الملكية والبريطانية المركز، قد نشرت تفاصيل هذه الورقة في مقالة 5 أيار. و تتضمن النقاط الأساسية الموجودة في العرض الأمور التالية:

- 1) لا تريد إيران إنسحاباً مفاجئاً لقوات التحالف من العراق بسبب تخوفها أن يقود ذلك الى إعادة خلط الأوراق وإعادة توزيع القوة. وبدلاً من ذلك، يجب أن يكون هناك جدول زمني ثابت لإنسحاب القوات الأميركية والبريطانية من المدن العراقية، وإعادة تموضع القواعد والمعسكرات داخل العراق، حيث أن القوات العراقية المتوفرة قد وصلت الى مرحلة تستطيع فيها توفير الأمن. كما صرح الإيرانيون أيضاً بأنهم سيقومون بمد اليد لتقديم كل المساعدة الممكنة بحيث يمكن للقوات الأجنبية الخروج "بشرف" من العراق.

إن القرار الأميركي بزيادة عدد الجنود في العراق أجبر إيران على التفكير مرتين بخصوص وضع رهاناتها على إنسحاب أميركي تام. فالإنسحاب المفاجئ من دون تسوية متفاوض عليها يترك لإيران مشاكل أكثر مما يمكنها تحمله بالنسبة لإحتواء الفئات السنية، الشيعية والكردية العراقية. كما أن إيران لا تريد تركها تلتقط ما تناثر في بلد هو أساساً على حافة التشطي الى فئات طائفية.

ومن المهم الإشارة الى أن إيران لا تدعو الى إنسحاب كامل من العراق، فهي تعتبر، بالواقع، أن القوات الأميركية سيُعاد موضعها في قواعد ومعسكرات داخل البلاد. وبالرغم أن هذا الأمر يشكل عائقاً للطموحات الإيرانية، فإن وجود القواعد الأميركية يوفر لإيران، أيضاً، قوة إستقرار تعمل على تمهينة السنة والأكراد. بالإضافة الى ذلك، يقوم الإيرانيون بإرسال ضمانات للولايات المتحدة بأنهم مستعدون للتعاون بحيث لا يبدو إنسحاب العراق كسيناريو فييتنامي آخر بالنسبة للإدارة الأميركية بحيث يكون عليها التعامل معه في الوطن لاحقاً.

(2) إن إيران "معارضة بقوة لكل محاولات تجزئة العراق أو فرض نظام فيدرالي يسمح بالإستقلال الذاتي المحلي". لا يجب أن يُسمح لمنطقة يحتكر موارد الثروات في أراضيها وحرمان المناطق الأخرى من عائدات هذه الموارد.

فإيران تقول، بالأساس، بأن طهران وواشنطن لديهما رغبة مشتركة برؤية عراق موحد. إن الإصرار الأميركي على عراق موحد يأخذ بالحساب الهواجس السنوية لجهة تركهم بمنطقة وسط البلاد القاحلة من النفط، الى حد كبير. فإيران تعطي إشارة بأنها ليست مهتمة برؤية عراق منقسم، حتى ولو كان سيناريو كهذا يترك طهران مع لاختيار الثاني الأفضل بتأمين نفوذها في منطقة جنوبية شيعية بأغليتها وغنية بالنفط.

(3) تريد إيران خطة، تضم الأكراد والسنة، مرسومة لإستتصال القوى الجهادية المتعددة الجنسيات والمتحالفة مع القاعدة في العراق. وعلى العشائر السنوية أن تتحمل المسؤولية أيضاً بمواجهة الجهاديين، سواء أكانوا مواطنين عراقيين أم من بلدان عربية وإسلامية أخرى.

وفي هذا المطلب، تتقاسم الولايات المتحدة وإيران هدفاً مشتركاً. فالجهاديون سوف يستخدمون كل محاولة ممكنة لزرع النزاع الطائفي في العراق منعاً لتقدم الحل السياسي. فالولايات المتحدة لا تريد أن توفر للقاعدة أرضاً خصبة للعمليات. كما أن إيران لا تريد لخصمها الإيديولوجي أن يحصل على أرض له بجوارها والعمل ضد المصالح الشيعية.

(4) تصرح إيران، بوضوح، بأن المفاوضات حول العراق لا يمكن أن تكون منفصلة عن قضايا إقليمية أخرى وعن ملف طهران النووي.

وقد ناقشت ستراتفور بشكل أوسع الصلة بين أجندة إيران النووي وبرامجها المفصل للعراق. فإيران تحاول ربط القضية النووية باتفاقها مع الولايات المتحدة حول العراق كنوع من سياسة ضمان. فإيران لا تريد التوصل الى إتفاق حول العراق ومن ثم ترك القضية النووية ليعم التعامل معها لاحقاً، فعندها تكون الولايات المتحدة في موقف أفضل لإتخاذ عمل ما ضد طهران.

وتسعى إيران، بالأساس، الى صفقة تسمح لها بالموافقة، طوعاً، على تجريد تخصيبها لليورانيوم مقابل تنازلات سياسية حول العراق، لكن من دون أن يكون عليها تفكيك برنامجها النووي. وهذا سيرك أمامها مجالاً كافياً للإلتفاف على العقوبات والحفاظ على البرنامج النووي لأجل مصالحها على المدى الطويل. أما واشنطن، فليست منقاداً تماماً لهذه الفكرة، مما يجعل منها (الفكرة) موضوعاً رئيساً مسيئاً للمأزق. وقد سبق للولايات المتحدة أن أوضحت بأنها تترك القضية النووية خارج مناقشات العراق.

(5) تريد إيران صيغة إقليمية جديدة تجعل العراق منطقة نفوذ لطهران. وفي حين لا يبدو أن إيران قد صرحت بوضوح عن ذلك في عرضها، فقد وصلت الرسالة لأكثرية المشاركين في المؤتمر. ولا يمكن لواشنطن تحمل السماح للعراق بأن يتطور الى قمر صناعي إيراني، إنما هي تتطلع للحصول على ضمانات من إيران بأن يترك الإنسحاب الأميركي حكومة محايدة في العراق، رغم هيمنة الشيعة عليها.

وقد حددت الورقة الإيرانية تنازلات أساسية عدة ستقدمها للولايات المتحدة والطائفة السنية العراقية إذا ما تمت تلبية مطالبها.

- 1) ستساعد إيران الحكومة العراقية للسيطرة على الميليشيات الشيعية المسلحة ودمجها في أجهزة الدولة الأمنية.
- 2) يمكن مراجعة قانون إجثاث البعثيين للسماح بإعادة توظيف أفراد الجيش العراقي السابق، الكتلة المرتبطة بالتمرد القومي السني. وعلى كل حال، تريد إيران ضمانات بأن لا يُسمح لرئيس الوزراء العراقي المؤقت الأسبق، أياد علاوي، وبعثيين آخرين بإستلام موقع رئاسة الوزراء عندما يأتي وقت إستبدال رئيس الوزراء الحالي، نور المالكي.
- 3) ستكون إيران مستعدة لرؤية إنتخابات برلمانية جديدة، تشكيل مجلس وزراء جديد وتعديل الدستور العراقي لمضاعفة المقاعد السنية في البرلمان الى 40%، مع محافظة الشيعة على 60%. وعلى كل حال، لم تقل طهران شيئاً عما سيقى للأكراد بالنسبة للتمثيل السياسي الكردي.
- 4) قامت إيران بتقديم عرض "عادل" للعائدات النفطية في العراق لإرضاء كل الأفرقاء، خاصة أولئك الذين هم في "وسط العراق"، ذي الغالبية السنية، قلب البلاد المحروم من النفط.

وتثبت عروض طهران إقرار الإيرانيين الصريح بأنهم لن يكونوا قادرين على الحصول على كعكتهم وأكلها أيضاً. وبدلاً من ذلك، سيكون عليهم أن يضمنوا الحيادية العراقية عن طريق إعطاء السنة شريحة أكبر بكثير من الحلوى وترك الأكراد يُخدعون مرة ثانية. وبالعودة الى واشنطن، فإن إدارة بوش تنظر الى خطة الإنسحاب الإيرانية بشك. أما حالياً، فإن الولايات المتحدة تريد ضمانات بأن لا تترك خطة إنسحاب ما منسقة مع الإيرانيين فرصة لإيران، على المدى الأطول، للسيطرة تدريجياً، وببساطة، على العراق ما أن تُزال العوائق من الطريق. وبمعنى آخر، إن الولايات المتحدة بحاجة الى ضمانات بأنها ما أن تقوم بسحب الجنود، فإن الإيرانيين لن يقوموا بالدخول ببساطة. إن العرض الإيراني بتوسيع التمثيل السني هو إستجابة مباشرة على هذه الهواجس، مما يوفر للأفرقاء أصحاب الصلة القدرة على الوفاء بوعودهم.

وهذا الأمر مشكوك به بشدة. فبرغم التطورات الهامة التي تحصل الآن والتي تتكشف للولايات المتحدة، فإن إيران واللاعبين العراقيين المختلفين يقومون بتحركات صلبة لدعم وحفظ جانبهم من التسوية. وبمباركة إيرانية، أعلن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بأنه سيخضع لعملية "عرقنة" - وهو إثبات رمزي، الى حد كبير، بأن المجلس الأعلى لن يعمل، ببساطة، كبديل إيراني. وفي هذه الأثناء، تقوم العشائر والقبائل السنية في محافظة الأنبار، وبشكل متزايد، بإذاعة إلتزامها وتقدمها في مكافحة الجهاديين من ذوي الجنسيات المتعددة. وأخيراً، تعرض تقارير عديدة في الإعلام العربي بأن الولايات المتحدة ستكون مستعدة للإلتفات الى المطلب الإيراني بأن لا يكون لدى الجيش العراقي قدرات هجومية تسمح له بتهديد جاراته الفارسية.

إنّ المفاوضات تتحرك، ويصبح ظاهراً أكثر فأكثر أنّ الإجماع بدأ يظهر بين طهران وواشنطن حول الكيفية التي يجب أن يتحول إليه المشروع العراقي. فمع وجود اللاعبين الجادين، كفاية، في مواقع السلطة المشتركة لإنجاح هذا الإتفاق، فإن الأمر يعود الآن لكل اللاعبين الآن لوضع أموالهم في أفواههم - سواء قام أولئك اللاعبو بدعوة واشنطن، طهران، الرياض أو بغداد الى الوطن.